قبر الغزالي ولفظ اسمه

قال مرتضى كما قال السبكي قبلهُ ان اسم الغزالي على تمامهِ هو ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي وانهُ ولد في طوس سنة ٤٥٠ للهجرة (١٠٥٨ مسيحية) اما تكرر لفظة محمد ثلاث مرات متوالية في اسم عائلتهِ فليس فريداً في بابهِ فقد روى ابن قتيبة ان اسم ابي البحتري وهب بن وهب بن وهب وان أحد ملوك الفرس كان اسمهُ بهرام بن بهرام بن بهرام . وقد ورد بين الطالبيين اسم حسن بن حسن بن حسن وبين الغسانيين اسم الحرث بن الحرث بن الحرث

اما لفظ اسمهِ وهل هو الغزالي بزاي واحدة او بزاي مشددة فقد كثرت الاقوال فيهِ وطال الجدال عليهِ. فمن رأي الاستاذ مكدونلد ان الزاي مشددة كما ذهب اليهِ ابن خلكان. ولكن السمعاني يقول ان لفظ الغزالي نسبة الى قرية غزالة القريبة من طوس ولا علاقة لهُ بصناعة الغزل . ومعلوم ان السمعاني ولد بعد موت الغزالي بسنتين فقط وقد كتب كتاباً طويلاً في الانساب يملأ ثمانية مجلدات فهو من الثقات في الانساب فلا حرج علينا اذا عولنا على رأيهِ في لفظ اسم الغزالي بتخفيف الزاي ولاسيما انهُ كان من مواطنيهِ . وهذا هو رأي علماء الازهر الشريف كلهم

ولا يكاد يكون هنالك ريب في ان السمعاني كان يكتب اسم الغزالي بزاي مخففة كما يؤخذ من قول ابن خليكان . وهذا هو مذهب المستشرقين الالمان وفي جملتهم بروكلمان ومذهب كيمان هوار في كتابهِ تاريخ الآداب العربية. والمستشرقين الفرنسويين كما روت مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية. وجولدزيهر في مؤلفهِ الاخير الذي كتبهُ سنة ١٩١٠ . وسنوك هرجرونجي المستشرق الهولندي المشهور

وبالرغم من هذه الاسانيد كلها فان الذين يذهبون الى ان الزاي مشددة يستندون الى قول من قال انهُ رأى النبي محمداً في حلمهِ فاخبرهُ بان لفظ اسم الغزالي بالزاي المشددة هو الصحيح (انظر المرتضى مجلد وجه ١٨) . وعندي فتوى من علماء الازهر ان اللفظ المجمع عليهِ الآن هو بالزاي المخففة

هذا من حيث لفظ الاسم أما من حيث قبر الغزالي فنحن مدعوون لحضرة

القس دوايت دونلدسن في مشهد (ايران) بصور خرائب طوس وجامعها وما يزعمون انهُ قبر الغزالي. أما الجامع فقديم جداً والمرجح انهُ بني في عهد الغزالي. وقد لا يكون القبر المصور في الصورة قبر الغزالي الذي نحن بصدد الكلام عنهُ بل قبر غزالي آخر مشهور . فقد جاء في المجلد ٣ والوجه ٣٦ من كتاب السبكي انهُ كان قبل الغزالي غزالي آخر اسمهُ احمد بن محمد ابو حامد الغزالي وان الناس في عصرهِ شكُّوا في وجودهِ ولكنهُ وجد بعد البحث الكثير اسمهُ مذكوراً في بضعة كتب منها كتاب الانساب للسمعاني . وان هذا الرجل كان عالماً في خراسان واشتهر بعلمهِ والف كتباً في مسائل دينية ودفن في طوس وقبرهُ معروف فيها وسماهُ اهل عصرهِ الغزالي الاكبر وكانوا يزورون قبرهُ لتلقي الجواب على ادعيتهم وصلواتهم. ومن رأيهِ ان الغزالي هذا كان عم الغزالي الاصغر أو عم ابيهِ . وقد نستنتج من قول السبكي هذا انهُ لم يسمَّ الغزالي لان اباهُ كان غزالاً بل ان الاسم قديم

ومما قاله المستر دونلدسن فيما كتب عن خرائب طوس ما يأتي «لا تزال أسوار المدينة القديمة قائمة وطولها فرسخ اي ٣½ ميل. وهناك آثار ابراج وبقايا ابواب في تسعة مواضع . وكان عرض السور في الاصل خمسة يردات . ولا يزال قبر احمد الغزالي قائماً في المقبرة الكبرى وهي الى الجنوب الغربي من المدينة وقد حول معظمها حقولاً وارضاً للزراعة ولكن اطرافها لا تزال ملآنة قبوراً

«وليست الصورة التي أرسلها على ما اشتهي ولكنها تدل على ان قطعة كبيرة قطعت من احدى زوايا الحجر الذي على القبر وطول هذا الحجر يردان وعرضهُ ثلث يرد وارتفاعهُ ثلث يرد. وهناك ادلة واضحة على ان بعضهم حاول قطع الجزء الذي نقش عليهِ اسم احمد الغزالي وهو الجزء الذي قطعت زاويتهُ في الصورة

«ومنظر الجامع يأخذ بمجامع الابصار ولو خرباً وارتفاع جدرانهِ ١٨ يرداً وخارج البوابة الجنوبية الغربية جسر قديم لا يزال قائماً تمر عليهِ القوافل القادمة من مشهد. ولهُ ثماني قناطر عرض كل منها ٤½ يرد . واسم النهر «كشف روض»

وحول الحصن خندق وسور وفيهِ ميدان واسع يزرع فيهِ البطيخ وقد ذقناهُ فما وجدنا في ايران كلها اطيب منهُ . ولا تزال آثار اربع زوايا من زوايا الحصن

ظاهرة . وقد وجدنا شقف خزف جميلة بين الانقاض ضمن هذه الجدران القديمة »

وكتب في كتاب آخر بتاريخ ١٧ يناير ١٩١٧ يقول « زرت طوس مرة أخرى هذا الاسبوع واعدت البحث بدقة وعناية في قبر الغزالي فوجدت الحجر قد شوه كل التشويه . أما من جهة المسئلة التي كانت موضع الريب وهي هل القبر قبر محمد الغزالي أو آخر اسمهُ احمد الغزالي فعندي انهُ قبر ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي لان الاسم لا يزال ظاهراً على رأس الحجر حيث حاول بعضهم قطعهُ في زمن خلا . وكلما حدق المرء بصرهُ في الكتابة زاد اقتناعاً بان الاسم كلهُ مقروء ما عدا الف ابي فيهِ . ورأس الكتابة مشوه كلهُ والكلمة التي ظنها صاحبي الايراني أولاً احمد ليست احمد ولا نعلم ما هي لعظم التشويه

« وعلى الزاي في اسم الغزالي شيء يشبه الشدة ولكنهُ ليس الشدة المعروفة بل نصفها هكذا (◌ّ) » انتهى

ويظهر لي ان هذا البحث يقرر مسئلتين الاولى ان قبر الغزالي في طوس وهو مهمل مشوه . والثانية ان حرف الزاي في اسمهِ مشدد

وكتب احد علماء الفرس من مدينة طوس يقول ما ترجمتهُ

« ان الحجر الذي على قبر الغزالي نقشت عليهِ كتابة غير ظاهرة لطول عهدها والاسم الذي فيها هو احمد غزالي وعلى دائر اطراف الحجر هذه الابيات (وترجمتها هكذا)

الى الآن عيني ما رأت مثلك
انا على رأس ترابك وترابك على رأسي
ليتني كنت يوم فراقك تحت قدمك
او ضربتني بسيف الموت على رأسي(١)

وعلى حجر آخر قرب الحجر الذي على قبر الغزالي ما نصهُ « هذا مرقد المرحوم المغفور لهُ سالار اي رجل عظيم اسمهُ حاج محمد ولد سالار محمد اسلامي » فهذا الحجر غير الحجر الذي على قبر الغزالي

صموئيل زويمر

(١) هذه الابيات ارسلت الينا باللغة الفارسية فترجمناها الى العربية